الفصل الثالث

السمعيات عند القاسمي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

الأول: الملائكة.

الثاني: الوزن والميزان.

الثالث: الرؤية.

المبحث الأول

ويشتمل على:

١- تمهيد في تعريف الملائكة.

٢- رأي القاسمي في الملائكة.

٣- آراء أشهر الفرق فيها.

٤- تعقيب.

تمهيد

الملائكة:

لغة يقول ابن منظور:

المَلَك: واحد الملائكة وإنما هو تخفيف الملأك واجتمعوا على حذف همزة وهو مفعل من الألوكة، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك... ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك. والملك يطلق على المفرد وعلى الجمع.

فهي تدور على معنى الرسالة[1]. لأن الملك يبلغ عن الله تعالى:

وعرفها علماء الكلام بأنها أجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكيل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة شأنها الطاعة دائمًا لا يصفون بذكورة ولا أنوثة[2].

وقالت النصارى: «إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة، والخبيثة عندهم شياطين».

وقال عبدة الأوثان: «إنها هذه الكواكب، السعيد منها ملائكة الرحمة، والخبيثة ملائكة العذاب».

والفلاسفة يقولون: «إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة،

---

(1) لسان العرب المجلد السادس ص٤٢٦٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي تحقيق عبد العليم الطحاوي ط١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ٤ ص٥٢٤، القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ عبد الفتاح إبراهيم جـ٢ ص٢٣٥.

(2) ينظر في ذلك شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٦، وتحفة المريد ص١٥٥، وفتح الباري جـ٦ ص٣٥٣.

وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك»[١].

وقد أبطل ابن حجر -رحمه الله- هذه الأقوال الأخير لعدم ورود شيء من الأدلة السمعية بشأنها ومال إلى ما ذهب إليه المتكلمون. وبمثل ما قاله ابن حجر[٢] قال صاحب كتاب القول السديد[٣].

٢- رأي القاسمي في الملائكة

١- يرى القاسمي أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية لا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بها وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]... ولكن البر من آمن بالله. أي: إيمان من آمن بالله - الذي دعت إليه آية الوحدانية. فأثبت له صفات الكمال، ونزهه عن سمات النقصان. «واليوم الآخر» الذي كذب به المشركون فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعض «والملائكة» أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين رسله بإلقاء الوحي وإنزال الكتب ففيه - أي الإيمان بهم وبما قبلهم - قهر النفس للإذعان لمن هو من

---

(1) ينظر في ذلك روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي جـ١ ص٢١٨، ٢١٩ نشر دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨، سنة ١٩٩٨م. * وقد ذكر هذه الأقوال صاحب القول السديد جـ٣، ص١٤٤.

(2) فتح الباري جـ٦ ص٣٥٣.

(3) القول السديد جـ٣ ص١٤٥.

جنسها - والإيمان بغيب من ليس من جنسها، ليكون في ذلك ما ينـزع[١] النفس عن هواها[٢] وقرر أيضًا وجوب الإيمان بهم في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥][٣].

٢- ويرى القاسمي أن الكفر بالملائكة خروج عن الهدى وبُعدٌ عن الطريق المستقيم، ودعوة إلى الإيمان بالشياطين، وكل ذلك ضلال مبين وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] ومن يكفر بالله وملائكته.. أي خرج عن الهدى وبعد عن القصد كل البعد، أما الكفر بالله فظاهر، وأما بالملائكة فلأنهم المقربون إليه، وأما بالكتب فلأنها الهادية إليه. وأما بالرسل فلأنهم الداعون إليه وأما باليوم الآخر فلأن فيه نفع إقامته وضرر تركه. فإذا أنكر لزم إنكار النفع الحقيقي والضرر الحقيقي. فهو الضلال البعيد، ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنة وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه. وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله. ثم الكفر بالملائكة يدعوا إلى الإيمان بالشياطين وكل ذلك ضلال بعيد[٤].

---

(1) في الأصل (يزع) ولعلها ينـزع.

(2) محاسن التأويل جـ٣ ص٣٨٧-٣٨٨.

(3) محاسن التأويل جـ٣ ص٧٢٨، ٧٢٩.

(4) محاسن التأويل جـ٥ ص١٦٠٧.

٣- أما عن صفات الملائكة فيرى القاسمي بأن مادة خلقهم من النور[١].
واستدل على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[٢] هذا ولم يتعرض القاسمي لبيان حقيقة النور لأنه غيب عنا بخلاف د/ البهي، إذ يرى بأن الملائكة مخلوقون من نار صافية مشعة وهم من الجن[٣]، وقوله هذا مناقض للحديث السابق القائل بالتفريق.

٤- ويرى القاسمي أنهم لا يوصفون بالذكورة، والأنوثة، وأن من يصفهم بالأنوثة فهو كافر واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ** ﴾ [النجم: ٢٧][٤] ويرى كذلك بأن مسكنهم في السماء[٥].

٥- ويرى القاسمي أنهم لا يأكلون ولا يشربون واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ [هود: ٧٠] فتفسيره «أوجس» أي أحس «منهم خيفة» لظنه أنهم بشر أرادوا به مكروهًا. والضيف إذا همَّ بفتك لا يأكل من الطعام، في عاداتهم «قالوا» أي لما علموا منه الخوف بإخباره لهم، كما في قوله تعالى ﴿ **قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ** ﴾ [الحجر: ٥٢-٥٣] كما قيل هنا «لا تخف» أي إنا لا نأكل لأنا ملائكة[٦].

---

(1) محاسن التأويل جـ٢ ص١٠٣، ١٠٤، جـ٧ ص٢٦٢٢.
(2) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة جـ١٨ ص١٢٣.
(3) ينظر في ذلك تفسير سورة الجن د/ محمد البهي ص٨-١١ نشر دار الفكر ط٢ سنة ١٣٩٤، ١٩٧٤.
(4) محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٧٨، جـ١٤ ص٥٢٦٢.
(5) محاسن التأويل جـ٤ ص٩٦٣، جـ١٠ ص٤٠٠٠، جـ١٤ ص٥١٩٣.
(6) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٤٦٥.

٦- ويرى القاسمي بأنهم ينزهون الله تعالى دائمًا ولا يملّون من عبادته وهم مقربون إلى الله لأن هذه العبادة هي قرة أعينهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨] فعند تفسيره لهذه الآية يقول ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ أي عن عبادته كبرًا وعتوًا ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون أي لا يملون عن عبادته لأنها قرة أعينهم وحياة أنفسهم[١].

٧- ويرى القاسمي بأن الملائكة متفاوتون في الخلق والمقدار واستدل على تفاوتهم في الخلق بقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١] فعند تفسيره يقول «... أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد، حسب تفاوت ما لهم من المراتب، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة أسرى به، وله ستمائة جناح»[٢]، ولهذا قال سبحانه ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء مما تقتضيه حكمته[٣]. واستدل على تفاوتهم في المقدار بحديث رواه البخاري عن معاذ بن رفاعة، عن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان ممن شهد بدرًا قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمون - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة[٤].

---

(1) محاسن التأويل جـ٤ ص٥٢١٠.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب؛ بدء الخلق باب «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء» جـ٦ ص٣٦١.

(3) محاسن التأويل جـ١٤ ص٤٩٧٢.

(4) فتح الباري كتاب المغازي باب ١١ شهود الملائكة بدر جـ٧ ص٣٦٢، ص٣٦٣.

فاستدل القاسمي بهذا الحديث بأن أفضل الملائكة من شهد معركة بدر(١).

٨- ويرى القاسمي أن الملائكة مأمورة بالطاعة دائمًا وعدم عصيان الله في أمر أبدًا وهم خائفون منه تعالى في أثناء تسبيحهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨](٢).

وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦](٣).

وقوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣](٤) وهو بذلك موافق لقول الجمهور القائل بعصمة الملائكة(٥).

٩- ويرى القاسمي بأن للملائكة قدرات خارقة عجيبة واستدل على ذلك بما حدث لقوم لوط عليه السلام من قلب الملائكة لمدينتهم بكل ما فيها وإمطار الحجارة عليهم(٦). واستدل أيضًا بأن منهم من يحمل العرش - على

---

(1) محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٥٧.

(2) ينظر تفسير هذه الآيات في محاسن التأويل جـ١١ ص٤٢٦٤، ٤٢٦٥ «إذ يقول في أثناء تفسيره بعد ذكر الآية السابقة فلا يقولون شيئًا حتى يقول الله تعالى، أو يأمرهم به كما هو شأن العبيد المؤدبين، ولا يعصونه في أمر إشارة إلى مراعاتهم في أدب العبودية في الأفعال أيضًا، كالأقوال».

(3) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٨٦٧.

(4) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل جـ٩ ص٣٦٦٠.

(5) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٦، ١٤٧.

(6) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٤٧٤.

عظمته - وفي ذلك دليل على قدرتهم الخارقة[١].

١٠- ويرى القاسمي بأن الملائكة مخلوقون قبل البشر والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠][٢].

١١- ويرى القاسمي بأن الملائكة يجوز في حقهم أن يتشبهوا بالآدمي ولا يخرجهم هذا التشبيه عن كونهم ملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩][٣] وقوله تعالى في قصة نزول جبريل عليه السلام على مريم ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧][٤].

١٢- ويرى القاسمي بأن الله تعالى خلق الملائكة على هيئة حسنة جميلة قوية واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [النجم: ٥-٦][٥].

١٣- ويرى القاسمي بأن الملائكة أصناف فمنهم من ينزل بالوحي من عند الله إلى رسله الكرام وهو جبريل عليه السلام واستدل على ذلك بقول تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

---

(1) محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٩١٤، ٥٩١٥.

(2) ينظر محاسن التأويل جـ٢ ص٩٤، ٩٥.

(3) ينظر محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٥٧.

(4) ينظر محاسن التأويل جـ١١ ص٤١٣١.

(5) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٥٥، ٥٥٥٦.

ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥][(١)].

ومنهم ملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد وللملك أعوانًا من الملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١][(٢)]. وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣][(٣)] ومنهم من ينفخ في الصور بأمر الله تعالى وهو سيدنا إسرافيل عليه السلام والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨][(٤)].

ومنهم من يحمل عرش الرحمن وحولهم ملائكة يستغفرون للمؤمنين. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧][(٥)].

ومنهم الحافين بعرش الرحمن واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ

(1) ينظر تفسير هذه الآيات محاسن التأويل جـ١٣ ص٤٦٤٥.
(2) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج١٣ ص٤٨١٢، ٤٨١٣.
(3) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج٦ ص٢٤١٦، ٢٤١٧.
(4) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٠.
(5) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٧.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥](١).

ومنهم ملائكة الجنة الذين يدخلون على أهلها ويلقون عليهم السلام واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤](٢).

ومنهم ملائكة النار المكلفون بتعذيب أهلها واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٧-٣١](٣).

ومنهم من يسجلون على بني آدم أعمالهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨](٤).

ومنهم من يسوق بني آدم للحساب والعرض على رب الأرباب واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١](٥).

ومنهم من يثبت المؤمنين في الحرب وينصرونهم على أعدائهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ

---

(1) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٣.

(2) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٦٧٤.

(3) ينظر محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٩٧٩، ٥٩٨٠.

(4) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٠٠.

(5) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٠١.

سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢](١).

ومنهم من يشهد صلاة الفجر مع المؤمنين واستدل على ذلك بقوله ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨](٢).

ومنهم من يختص ببشارة المؤمنين الموحدين، ومنهم من يختص بتأنيب العاصين المذنبين واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠](٣) وقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠](٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة بصفاتهم والمتحدثة عن أعمالهم(٥).

٣- رأي القاسمي في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

يرى القاسمي -رحمه الله- أن صالحي البشر أفضل من الملائكة واستدل على ذلك بآيات من الكتاب العزيز منها.

أ- قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(1) ينظر محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٦١.

(2) ينظر محاسن التأويل جـ١٠ ص٣٩٥٩.

(3) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥٢٠٢.

(4) محاسن التأويل جـ٨ ص٣٠١٥.

(5) لزيادة معرفة صفاتهم كما تحدث عنها القرآن ينظر في ذلك عالم الجن والملائكة ت عبد الرازق نوفل ص١٢٦-١٤٦ ط مؤسسة دار الشعب.

ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي «أن الغرض من إخبار الملائكة بجعل آدم خليفة في الأرض هو تعظيم شأن المجعول، وإظهار فضله، بأن بشر بوجود سكان ملكوته، ونوه بذكره في الملأ الأعلى قبل إيجاده، ولقبه بالخليفة»(١) والخليفة يفضل على من ليس بخليفة ولولا أن الخلافة درجة عالية وأعلى من درجة الملائكة لما طلبوها لأنفسهم وغبطوا صاحبها(٢).

ب- قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي أن الله -سبحانه وتعالى- بيَّن لهم في هذه الآية شرف آدم وفضله على الملائكة بما حباه الله من علم لم يعلموه وأمره أن يعلمهم إياه والعالم أفضل من المتعلم(٣).

ج- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي: أن الله -سبحانه وتعالى- أمر الملائكة بالسجود لآدم وما ذلك إلا لفضله وشرفه عليهم، ولم يثبت أن آدم عليه السلام سجد للملائكة بل إنه لم يؤمر بالسجود إلا لرب العالمين(٤).

د- قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي من وجوه إن الله خلق آدم بيده، هذا باعتبار الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿ مَا

(1) محاسن التأويل للقاسمي جـ٢ ص٩٥.

(2) عالم الملائكة الأبرار في ضوء القرآن والسنة ت د/ عمر سليمان الأشقر ص٧٦ نشر دار الكتب الإسلامي ط الطوبجي التجارية بتصرف.

(3) محاسن التأويل للقاسمي جـ٢ ص٩٩ بتصرف.

(4) محاسن التأويل جـ٢ ص١٠١، ١٠٢ بتصرف.

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] وباعتبار الغاية وهو ملاك الأمر، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له لما بيَّن لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواص ليست لغيره، وبالجملة فالشيء كما يشرف بمادته، يشرف بفاعله وغايته وصورته، والثلاثة في آدم عليه السلام..[1].

هـ- قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال القاسمي عند تفسيره لهذه الآية يستدل بها على تفضيل الأنبياء على الملائكة لدخولهم في العالمين[2].

٤- أراء أشهر الفرق في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

بعد أن عرضت لرؤية القاسمي للملائكة ورأيه في تفضيل صالحي البشر على الملائكة واستدلاله بالآيات القرآنية. نتعرض لآراء أشهر الفرق في هذه المسألة لنرى إلى أي مذهب من المذاهب ينتمي القاسمي.

١- ذهب المحدثون والأشاعرة والشيعة:

إلى القول بتفضيل الأنبياء على الملائكة، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، نكتفي منها بدليل واحد، لأن باقي الأدلة هي نفس ما استدل به القاسمي على مذهبه. وهذا الدليل هو: أن طاعة البشر أشق من طاعة الملك لأنها لا تتحقق له إلا بعد المجاهدة والتغلب على الشيطان، وعلى جميع الصوارف الدنيوية، بخلاف طاعة الملك، فهو مجبول عليها، ولاشك في أن العبادة مع المجاهدة أفضل فيكون صاحبها أكثر ثوابًا[3].

---

(1) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٦٢١، ٢٦٢٢ بتصرف.

(2) محاسن التأويل جـ٤ ص٨٣٠.

(3) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٨ بتصرف، والقول السديد جـ٣ صـ١٤٩، ولوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٣٩٨ بتصرف.

٢- ذهب الحكماء والمعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو عبد الله الحليمي من أهل السنة

إلى القول بتفضيل الملائكة العلوية على الأنبياء إلا محمد ﷺ أما الملائكة السفلية الذين يسكنون الأرض فالأنبياء أفضل منهم[(١)] واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة نقلية، وأدلة عقلية، منها:

١- كثرة الآيات القرآنية الدالة على وصفهم بالقرب والشرف والتواضع والخضوع لله تعالى وفي كل ذلك إشارة إلى أن غيرهم ليس كذلك[(٢)].

٢- قوله تعالى ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢] وجه الدلالة من الآية إن مثل هذا السياق يقتضي تفضيل الملائكة المقربين على عيسى، لأن البلاغة تقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

٣- اطّراد تقديم الملائكة على الأنبياء في الذكر إذا اجتمعا، فإنه يدل على أن المتقدم أفضل من المتأخر.

٤- أن أرواح الملائكة مبرأة عن الرذائل، ومطلعة على أسرار الغيب، وقادرة على الأفعال العجيبة، ومن كان هذا حاله فهو أفضل ممن لم يكن معه هذه الأوصاف، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي استدل بها أصحاب هذا المذهب وكلها مردود عليها[(٣)].

---

(1) المرجعان السابقان نفس الصفحة، والمختار من شرح البيجوري على الجوهرة صـ١٥٥.

(2) بتصرف من شرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٨.

(3) ينظر في ذلك القول السديد جـ٣ صـ١٥٠، ١٥١، وشرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٩، ومحاسن التأويل جـ٢ صـ١٧٦٩، ١٧٧٤، ولوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٤٠٦، ٤٠٩.

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض هذا المبحث ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث والشيعة في مسألة المفاضلة، واستدلاله جميع أدلتهم.

٢- القول بالتفضيل ليس على وجه التنقيص أو الحمية والعصبية للجنس كما يرى صاحب شرح الطحاوية[١].

٣- القول بأن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة من بدع علم الكلام ولم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة - كما ذكره تاج الدين الفزاري[٢]- قول مردود عليه لأن بعض صحابة رسول الله ﷺ تكلموا في شيء من ذلك والدليل على ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو والذهبي «أن عبد الله بن سلام قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ فقيل له: ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ[٣]» هذا وقد أورد بن كثير نصًا عن عمر بن عبد العزيز ونصًا آخر عن عبد الله بن عمر وكلاهما يفيد تفضيل صالح بني آدم على الملائكة[٤].

٤- أرى بأن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه المسألة أولى بالصواب نظرًا لجمعه بين الأدلة وهو «أن صالحي البشر أفضل

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ صـ٤١٢.

(2) هو الإمام العلامة العالم شيخ الشافعين في زمانه عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري تاج الدين المعروف بالفركاح، المصري الأصل، الدمشقي الإقامة والشهرة والوفاة توفي سنة ٦٩٠. ينظر شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ صـ٤١٣.

(3) عالم الملائكة الأبرار ت د/ عمر سليمان الأشقر صـ٧٤ نشر دار الكتاب الإسلامي.

(4) البداية والنهاية لابن كثير جـ١ صـ٦٤، ٦٥.

باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، وحيَّاهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم. والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر» قال ابن القيم بعد عرض قول ابن تيمية «وبهذا التفضيل تبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه»[1].

٥- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعل من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

(1) لوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٣٩٩.

المبحث الثاني

الوزن والميزان

ويشتمل على:

١ - تعريف الميزان

٢ - رؤية القاسمي للميزان

٣ - أراء أشهر الفرق في الميزان

٤ - أعمال الكفار ووزنها

٥ - الحكمة من الوزن

٦ - تعقيب.

الميزان

الميزان من الأمور التي وردت إلينا عن طريق السماع من الرسول ﷺ وهو يمثل مرحلة أو موقفًا من مواقف الآخرة، وذلك بعد إعادة الأجسام، وأخذ كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله، وقبل الخوض في الحديث عنه نتعرض لتعريفه من ناحية اللغة.

الميزان في اللغة:

من وزن الشيء يَزِنُهُ وزْنًا وزِنَةً: قدَّره بما يعادله في الثقل، والميزان: الآلة التي توزن بها الأشياء، ويطلق مجازًا على العدل وعلى الشريعة، قال تعالى ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] فالميزان في الآية هو الميزان الحقيقي المعروف، وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] أي العدل أو الشريعة[١] والموازين جمع ميزان وأصله موازن فقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها[٢].

رؤية القاسمي للميزان:

يرى القاسمي بأن الميزان يطلق ويراد به حقيقته المعروفة من كونه ميزانًا له لسان وكفتان، وقد وضَّح ذلك عقب تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إذ يقول «أي نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال»[٣] والقاسمي بتفسيره

---

(1) المعجم الوسيط جـ٢ صـ١٠٧١، ١٠٧٢ ط مجمع اللغة العربية ط٣ سنة ١٤٠٥ سنة ١٩٨٥م، القاموس القويم للقرآن الكريم ت الأستاذ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح جـ٢ صـ٣٣٤، ٣٣٥ ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤، لسان العرب لابن منظور، جـ٦ صـ٤٨٢٨، ٤٨٢٩.

(2) فتح الباري لابن حجر جـ١٣ صـ٥٤٧.

(3) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤٢٧٧.

هنا يوافق رأي كثير من المفسرين في حقيقة الميزان من أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، وساقان، يقول صاحب المقاصد في ذلك: «وذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملاً بالحقيقة لإمكانها»[١] وهذا هو ما أجمع عليه أهل السنة[٢].

ويرى القاسمي بأن الإيمان والتصديق بالميزان واجب لثبوته بالكتاب والسنة[٣].

أدلة القاسمي على الميزان:

استدل القاسمي -رحمه الله- على ثبوت الوزن والميزان بما ورد في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ فقال: وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقد سبق قوله عند تفسيره لهذه الآية.

٢- قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها، يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي حسناته في الميزان»[٤] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي أوردها في ذكر الميزان.

ب- من السنة استدل القاسمي -رحمه الله- بأحاديث كثيرة تفيد ثبوت الميزان فذكر منها ما يلي:

أ- ما رواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «**أنا فاعل**» يعني إن شاء الله - قلت يا رسول الله فأين

(1) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٦٤.
(2) فتح الباري لابن حجر جـ١٣ صـ٥٤٨.
(3) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٢ بتصرف.
(4) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٢.

أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**» قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**» قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن**»(١).

ب- ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «**يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدَّ البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة فيها (اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة**»(٢).

جـ- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك. وكان دقيق الساقين. فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه. فقال رسول الله ﷺ «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد**»(٣) إلى غير ذلك

---

(1) صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين رقم الحديث ١٩٨١ نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ط٧.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده طبعة الحلبي جـ٢ صـ٢١٣ رقم ٦٩٩٤ عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الترمذي في ٣٨ - كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ط الحلبي، وأخرجه ابن ماجه في: ٣٧ - كتاب الزهد، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة حديث رقم ٤٣٠٠ ط الحلبي.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ١ صـ٤٢٠ رقم ٣٩٩١ ط الحلبي.

من الأحاديث التي ذكرها القاسمي عند تفسيره لآيات الميزان.

رأي القاسمي في الموزون:

عندما تعرض القاسمي -رحمه الله- لتفسير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩] نجده يذكر ثلاثة أراء في حقيقة الموزون.

الأول:

الموزون هو الأعمال وإن كانت أعراضًا فإن الله يقلبها يوم القيامة أجسامًا ونسب القاسمي هذا القول إلى ابن عباس ﷺ واستدل على ذلك بالآتي:

أ- ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين - البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان**[1] **أو كأنهما فرقان من طير صَوَافَّ تحاجَّانِ عن أصحابهما. اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»[2].

ب- ما رواه ابن ماجة عن بُرَيْدة قال: قال رسول الله ﷺ «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك**»[3] إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها لهذا الرأي ثم عقب القاسمي بعد ذكر هذه الأدلة بكلام منقول عن أبي السعود من تفسيره ونسي أن ينسبه إليه[4].

---

(1) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما والفِرْقَان أي قطيعان وجماعتان.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتبتها جـ٦ صـ٨٩، ٩٠.

(3) أخرجه ابن ماجة في ٣٣ كتاب الأدب، ٥٢ باب ثواب القرآن حديث رقم ٣٧٨١ الحلبي.

(4) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٣، ١٦١٤ يقارن ما قاله في هذه الصفحة بما قاله أبو

الثاني:

قيل بأن الموزون هو صحائف الأعمال، واستدل على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره[١].

الثالث:

قيل بأن الموزون صاحب العمل، واستدل على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**» وقال: **اقرءوا: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا**[٢]. واستدل كذلك بالحديث السابق الوارد في مناقب سيدنا عبد الله ابن مسعود ﷺ.

وبعد أن ذكر القاسمي -رحمه الله- هذه الآراء الثلاثة بأدلتها نجده يميل إلى الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا. فتارة توزن الأعمال، وتارة يوزن محلها، وتارة يوزن فاعلها[٣].

=

السعود جـ٣ صـ٢١٢، ٢١٣.

(1) هذا القول نسبه البيجوري في شرحه على الجوهرة إلى جمهور المفسرين صـ٢١٥.

(2) فتح الباري كتاب التفسير باب أولئك الذين كفروا بربهم ولقائه جـ٨ صـ٢٧٩.

(3) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٦ بتصرف.

آراء أشهر الفرق في الميزان

١- ذهب جمهور العلماء:

إلى أن الميزان حق وصدق ما دام قد ورد ذكره في الكتاب الكريم وأخبر به الصادق المصدوق، ويجب الإيمان به وحجتهم في ذلك أنه لا يترتب على فرض وقوعه محال. وفي ذلك يقول صاحب المقاصد في أول المبحث السابع في السميعات «سائر ما ورد في الكتاب والسنة من المحاسبة وأهوالها والصراط والميزان والحوض وتفاصيل أهوال الجنة والنار أمور ممكنة أخبر بها الصادق فوجب التصديق»[(١)] واستدل على الميزان بقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- المعتزلة:

عندما تعرض صاحب المقاصد لبيان رأي المعتزلة في الميزان قال: «وأنكره بعض المعتزلة ذهابًا إلى أن الأعمال أعراض ولا يمكن وزنها فكيف إذا زالت وتلاشت، بل المراد العدل الثابت في كل شيء»[(٢)] وبالغ صاحب المواقف فقال «وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن أخرهم»[(٣)] وبالرجوع إلى كتب المعتزلة نجد أن القاضي عبد الجبار قد أثبت الوزن والميزان على معناه الحقيقي المعروف لدينا، واستدل على ذلك بوروده في الكتاب والسنة، بل إنه أنكر على من يقول بأن معناه العدل وفي ذلك يقول: «... أما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]... إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه،

---

(1) شرح المقاصد جـ٢ صـ ١٦٣.

(2) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٦٤، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي صـ٢٣٥.

(3) شرح المواقف للجرجاني، ط دار الطباعة العامرة بدون جـ٢ صـ٤٥٣.

المتعارف عليه فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز» ثم بيَّن العلة في ذلك فقال: «لو كان المراد به العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا»[(١)] وبمثل هذا القول ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن المراد بوضع الموازين هي الموازين الحقيقية التي توزن بها الأعمال[(٢)].

٣- الجهمية والضرارية والوزنية:

ذهبت هذه الفرق إلى إنكار الحوض والصراط والميزان وسؤال الملكين في القبر وزعموا ألا حساب ولا ميزان[(٣)].

هذا وقد ضعَّف القاسمي -رحمه الله- قول من يقول بأن المراد من الميزان هو العدل وردّ عليه فقال: «إن المشهور من مذهب أهل السنة أنه حقيقة بمعناه المعروف، وجمهور الصدر الأول اتفقوا على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل... والأصل في الإطلاق الحقيقة، ولا يعدل عنها إلى المجاز إذا تعذرت ولا تعذر ههنا»[(٤)].

---

(1) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم تحقيق د/ عبد الكريم عثمان صـ٧٣٥ نشر مكتبة وهبة القاهرة ط٣ سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(2) الكشاف -الزمخشري جـ٢ صـ٥٧٤. بتصرف.

(3) أصول الدين للبغدادي صـ٢٤٥، ٢٤٦.

(4) محاسن التأويل للقاسمي جـ٧ صـ٢٦١٧.

آراء أشهر الفرق في حقيقة الموزون

١- ذهب جمهور المفسرين وأهل السنة:

إلى أن الموزون هو الصحيفة التي كتبت فيها أعمال العباد من خير وشر واستدلوا على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره[١].

٢- ذهب الكرامية إلى أن الأعمال:

توزن أجسامًا ويخلقها الله ﷻ بعدد الأعمال[٢] وبيَّن ذلك البيجوري في شرحه للجوهرة فقال: «وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمني المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف وهذا في المؤمن، وأما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى»[٣] وقد نسب القاسمي هذا الرأي إلى ابن عباس رضي الله عنه[٤] وبه قال الغزالي إذ يقول: «وإذا قيل لك إن الأعمال توزن، علمت أن الأعمال عرض لا يوزن فلابد من تأويل»[٥].

---

(1) شرح الخريدة البهية تأليف أبي البركات الشيخ أحمد الدرديري العدوي مع حاشية على الشرح للعلامة أبي السعود الشيخ محمد بن صالح السباعي، تحقيق ومراجعة السيد علي ابن السيد عبد الرحمن آل هاشم صـ ٣٣٧ ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١٤هـ، تحفة المريد صـ٢١٥.

(2) أصول الدين للبغدادي صـ٢٤٦.

(3) تحفة المريد للبيجوري صـ٢١٥

(4) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٣ وينظر في ذلك القول السديد جـ٣ صـ١٧٤.

(5) قانون التأويل تصنيف أبي حامد الغزالي تحقيق محمد زاهد الكوثري صـ٤٩ هدية مجانية مع مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ.

٣- قيل بأن الموزون هو الشخص نفسه واستدل القائلون بذلك بحديث ابن مسعود السابق ذكره[١].

هل توزن أعمال الكفار؟

الظاهر هو حبوط أعمال الكفرة وضياعها عليهم لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ولقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [النور: ٣٩] والله -سبحانه وتعالى- لا يظلم الناس شيئًا - المؤمن منهم والكافر - يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠] وحسنات الكفار يطعمون بها في الدنيا لقول الرسول ﷺ «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»[٢].

والميزان كما هو معلوم مداره الأعمال الصالحة، والكافر إذا كان له عمل طيب فقد كوفئ عليه في الدنيا كما ثبت في الحديث الصحيح السابق فليس له حينئذ في الآخرة شيء وفي ذلك يقول القاسمي عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارًا واعتبارًا، لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة[٣] وقد قال العلماء في معنى هذه الآية: «أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار»[٤].

---

(1) تحفة المريد للبيجوري صـ٢١٦.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا جـ١٧ صـ١٤٩، ١٥٠.

(3) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤١٢٠.

(4) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق

الحكمة من الوزن:

بعد أن ذكر القاسمي -رحمه الله- تعريف الميزان والآراء في الموزون ختم كلامه ببيان الحكمة من الوزن فذكر أن للوزن حكمًا كثيرة منها:

١- إظهار عدل الله -سبحانه وتعالى- وأنه لا يظلم عباده مثال ذرة.

٢- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى.

٣- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر وحسنة وسيئة.

٤- إظهار علامة السعادة والشقاوة.

٥- إظهار فضل المتقي تحسينًا لحاله وإشارة لخلوه من كل شيء وتزيينًا لأمره على رؤوس الأشهاد[1].

تعقيب:

ظهر لي من خلال هذا المبحث ما يلي:

١- ثبوت الميزان بالكتاب والسنة وقد أثبته القاسمي بهما، وأنه على حقيقته المعروفة.

٢- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل السنة في تعريف الميزان، ورده على من قال بأن معناه العدل.

٣- أميل إلى ما مال إليه القاسمي من أن الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله لأنه هو الظاهر من النصوص والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينها ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو في حديث صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «**توضع الموازين يوم**

=

د/ أحمد حجازي السقا، جـ٢، صـ٤ ط مطبعة الحلبي عمرو الحلبي. نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(1) ينظر محاسن التأويل جـ٧، صـ٢٦١٨، التذكرة للقرطبي جـ٢ صـ١٢.

القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن ﷻ يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان». قال صاحب معارج القبول: «فهذا الحديث يدل على أن العبد هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن»[1] والله أعلم.

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول في علم الأصول، جـ٢، صـ١٧٦.

المبحث الثالث

رؤية الله تعالى في الآخرة

ويشتمل على:

١ - رأي القاسمي في رؤية الله -تعالى- في الآخرة.

٢ - آراء أشهر الفرق والمذاهب فيها.

٣- تعقيب.

رأي القاسمي في رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة

رؤية الله -تعالى- من المسائل التي دار حولها النزاع قديمًا بين الأشاعرة والمعتزلة. وقبل الوقوف على ما استند إليه كل منهما يحسن بنا أن نقف على رأي القاسمي فيها.

فالقاسمي -رحمه الله- يرى ثبوت رؤية الله -تعالى- في الآخرة وأنها حقة، والمسلمون جميعًا ينظرون إلى ربهم -جل وعلا- ويرون جمال ذاته، ونور وجهه، وذلك من أعظم ما يَمْتَنُّ به الله -تعالى- عليهم في ذلك اليوم - واستدل القاسمي على ما ذهب إليه بأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية.

أدلة القاسمي من الكتاب:

أ- قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «أي حسنة جميلة من النعيم» إلى ربها ناظرة أي مشاهدة إياه، ترى جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله ﷺ[1].

ب- قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فالقاسمي -رحمه الله- يبين أثناء تفسيره لهذه الآية بأن هؤلاء الكفار لا يرون الله -تعالى- ولا يرون شيئًا من كرامته، فهؤلاء محجوبون عن رؤيته وتخصيص هؤلاء الكفار بالحجب يقتضي أن غيرهم من المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة[2]، ثم نقل القاسمي كلامًا لابن القيم وختمه بقوله: «... وكما جمع الله سبحانه لأعدائه بين هذين العذابين وهما ألم الحجاب وألم العذاب، جمع لمحبيه بين نوعي النعيم نعيم

---

(1) محاسن التأويل للقاسمي جـ١٦، صـ٥٩٩٦.

(2) محاسن التأويل جـ١٧، صـ٦٠٩٦ بتصرف.

القرب والنظر، ونعيم الأكل والشرب والنكاح والتمتع بما في الجنة»[(١)].

ج- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «للذين أحسنوا النظر، فعرفوا مكر الدنيا والشهوات، فأعرضوا عنها، وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه، المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وزيادة على المثوبة، وهي التفضل كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣]، وأعظم أنواعه النظر إلى وجهه تعالى الكريم. ولذا تواتر تفسيرها بالرؤية عن غير واحد من الصحابة والتابعين»[(٢)].

د- قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «فمن يخاف المصير إليه، ويأمل لقاءه ورؤيته»[(٣)] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذكرها

(1) محاسن التأويل جـ١٧، صـ٦٠٩٩ هذا وقد قال أبو بكر السمعاني: استدل مالك بن أنس، وابن عيينة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، قال مالك بن أنس -رحمه الله-: «لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعير الله الكفار بالحجاب» وعنه أيضًا «لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه» وقال الشافعي -رحمه الله-: «لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا». قال الربيع: قلت للشافعي: وتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الآخرة ما عبده في الدنيا. وقال الإمام أحمد: «من لم يقل برؤية الله في الآخرة فهو جهمي»، وقال: وقد بلغه عن رجل أن الله لا يُرى في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا وقال: «من قال ذلك فهو كافر -أو فقد كفر- عليه لعنة الله وغضبه كائنًا من كان من الناس». ينظر في ذلك ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن الشريف، صـ٦٨-٦٩ مطبعة دار التأليف نشر دار الصحوة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، لوامع الأنور جـ٢، صـ٢٤٦.

(2) محاسن التأويل جـ٩، صـ٣٣٤١.

(3) محاسن التأويل جـ١١، صـ٤١٢٣.

في تفسيره وقد اكتفينا بما سبق خشية الإطالة[١].

أدلة القاسمي من السنة على ثبوت الرؤية:

ذكر القاسمي -رحمه الله- عدة أحاديث أثناء تفسيره للآيات السابق ذكرها نكتفي منها بحديثين.

الأول: ما ذكره عند تفسيره لآية الأنعام ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: وأما من السنة «فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا** - يعني العصر والفجر» ثم قرأ جرير ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩] »[٢].

الثاني: ما ذكره عند تفسيره لآية يونس ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ما روي عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ

(1) لمزيد من الأدلة للقاسمي ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٧، وجـ٧ صـ٢٨٥٠-٢٨٥٣.

(2) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٧، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ جـ١٣ صـ٤٢٩، ومسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، جـ٥ صـ١٣٤. وفيه يقول النووي: «أي ترونه رؤية محققة لاشك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة» جـ٥ صـ١٣٤.

ولا أقر لأعينهم[١]» إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي استدل بها القاسمي على ثبوت الرؤية ووقوعها في الآخرة ثم ذكر القاسمي -رحمه الله- أن أحاديث الرؤية وثبوتها قد تواترت بها الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ وأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، وأن أدلة السمع طافحة بوقوع الرؤية في الآخرة لأهل الإيمان، وأن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كانت تثبت الرؤية في الدار الآخرة[٢]. ولم يكتف القاسمي -رحمه الله- بذلك بل تعرض لمن قالوا بعدم وقوع الرؤية وردَّ عليهم ردًّا شافيًا[٣]. هذا بالنسبة لرؤية الله في الآخرة.

أما بالنسبة لرؤيته في الدنيا فيرى القاسمي -رحمه الله- بأن طلب رؤيته -تعالى- في الدنيا مستنكر وغير جائز، ولذلك لم يذكر -سبحانه وتعالى- سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات منها قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] ثم قال القاسمي: «دلت هذه التهويلات الفظيعة الواردة لطالبها في الدنيا على امتناعها فيها. وكما أخبر -سبحانه وتعالى- بأنه لا يرى في الدنيا فقد وعد الوعد الصادق ﷻ برؤيته في الدار الآخرة في آيات عديدة، وتواترت الأحاديث الصحيحة بذلك وهي قطعية الدلالة»[٤] هذا بالنسبة لخلق الله تعالى -عدا نبينا ﷺ- فقد ذكر

(1) محاسن التأويل جـ٩ صـ٣٣٤١ والحديث في صحيح الإمام مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم جـ٣ صـ١٧.

(2) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٨ بتصرف.

(3) ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٦ إلى صـ٢٤٥٥، جـ٧ صـ٢٨٥٠ إلى صـ٢٨٥٣.

(4) محاسن التأويل جـ٢ صـ١٣٠.

القاسمي اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا -يقظة- فقال:

(١) ذهبت عائشة رضي الله عنها وابن مسعود وأبو هريرة إلى القول بعدم ثبوت الرؤية وإنكارها في الدنيا لنبينا ﷺ ثم ذكر القاسمي الأحاديث الدالة على ذلك.

(٢) ذهب ابن عباس ﷺ إلى إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده. ثم رجح القاسمي -رحمه الله- وقوع الرؤية لنبينا ﷺ في الدنيا يقظة وذكر الأحاديث الدالة على ذلك، أما وقوعها منامًا فلا نزاع في وقوعها له ﷺ ولغيره من عباد الله الصالحين[1].

(1) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٨-٢٤٤٩، جـ١٥ صـ٥٥٦٦-٥٥٦٨، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد صـ١٣٨، صـ١٣٩.

آراء أشهر الفرق في رؤية الله تعالى

المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أن رؤية الله -تعالى- ممنوعة وهي من الأشياء المحالة والتي يجب نفيها عنه -تعالى- واستدلوا على مذهبهم بأدلة سمعية، وعقلية، فمن الأدلة السمعية:

(أ) قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وجه الدلالة في الآية كما يدَّعون أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، والمولى ﷻ قد نفى عن نفسه إدراك البصر، وهذا النفي فيه تمدح راجع إلى ذاته - تعالى- وما كان من نفيه تمدحًا راجعًا إلى ذاته -تعالى- كان إثباته نقصًا، والنقائص في حقه -تعالى- مستحيلة وغير جائزة[١].

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وجه الدلالة في الآية: أن كلمة «لن» في قوله «لن تراني» موضوعة للتأبيد، والله تعالى قد نفى أن يكون مرئيًّا ألبتة، فدل ذلك على استحالة الرؤية[٢]. إلى غير ذلك من الأدلة القرآنية الكثيرة التي استدل بها القاضي عبد الجبار ووجهها على مذهبه في نفي الرؤية. وقد اكتفينا بما قدمنا خشية الإطالة ونحيل إلى غيره[٣].

الأدلة العقلية للمعتزلة على مذهبهم في نفي الرؤية:

(أ) دليل المقابلة:

وتحريره «أن الواحد راء منّا بحاسة، والرائ بالحاسة لا يرى الشيء، إلا إذا

---

(1) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ٢٣٣ بتصرف.

(2) شرح الأصول الخمسة صـ٢٦٤ بتصرف، والكشاف للزمخشري جـ٢ صـ١١٣.

(3) لمعرفة المزيد من أدلة المعتزلة يراجع شرح الأصول الخمسة من صـ٢٣٢ إلى صـ٢٧٧.

كان مقابلاً، أو حالاً في المقابل، أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله -تعالى- لا يجوز أن يكون مقابلاً، ولا حالاً في المقابل، ولا في حكم المقابل»[١] إذن يمتنع رؤيته -تعالى-.

(ب) إن الله -تعالى- لو جاز أن يرى في حال من الأحوال، لوجب أن نراه الآن، ومعلوم أنا لا نراه الآن إذن لا تصح رؤيته[٢] إلى غير ذلك من الشبه السابقة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الإمام يحيى بن حمزة[٣] - من كبار علماء الزيدية - قد نحا هذا النحو، واستدل بما استدل به المعتزلة على مدعاهم[٤].

هذا وقد فنَّد الإمام الرازي -رحمه الله- جميع شبه المعتزلة وغيرها الكثير التي استندوا إليها.

وبيَّن الإمام الرازي ما في هذه الشبه من عدم فهمهم للنصوص وللغة العربية ونكتفي للتدليل على ذلك برده على شبهتين الأولى ردَّ على قولهم بأن: «الإدراك بمعنى الرؤية» بوجوه نكتفي منها بوجه واحد وهو: عدم التسليم بهذا المعنى بل المراد بالإدراك هو الوصول. يقال: أدركت الثمرة إذا وصلت إلى حد

---

(1) شرح الأصول الخمسة صـ٢٤٨.

(2) المرجع السابق صـ٢٥٣.

(3) يحيى بن حمزة هو أحد رجال الزيدية واسمه يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد ابن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي، من أئمة الزيدية وعلمائهم، ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ، وأظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمد بن المطهر، وتلقب بالمؤيد بالله أو المؤيد برب العزة، واستمر إلى أن توفي في حصن هران عام ٧٤٩هـ. أما عن مؤلفاته فقيل إن عدد كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره.

(4) المعالم الدينية في العقائد الإلهية للإمام يحيى بن حمزة تحقيق سيد مختار صـ٩-٨٢-٨٧، طبع دار الفكر بيروت لبنان ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

النضج. ثم قال فالحاصل أن الإدراك رؤية مكيفة، ولا يلزم من نفي الرؤية المكيفة، نفي أصل الرؤية، فكما أنا نعرف الله -تعالى ولا نحيط به، فكذلك نراه ولا ندركه[١].

الثانية: ردّ على الشبهة الثانية وهي أن كلمة «لن» في قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ للتأبيد بأنه غير مسلمٌ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٥] مع أنهم يتمنونه في الآخرة[٢]. وبمثل هذه الردود ردَّ على باقي شبههم[٣].

---

(1) الأربعين في أصول الدين للرازي جـ١ صـ٢٩٨ بتصرف.

(2) الأربعين في أصول الدين جـ١، صـ٣٠٠ بتصرف هذا وقد ردَّ الشيخ محمد محي الدين على ما ادَّعاه الزمخشري من أن «لن» لتأبيد النفي فقال: «لا صحة على ما ادعاه، ولا دليل له فيما استدل به، فأما عدم صحة دعواه فيدل له ثلاث أمور؛ أولها أن «لن» لو كانت دالة على تأبيد النفي في كل مثال ترد فيه لكان ذكر ظرف على وقت معين معها تناقضًا، وقد ذكر في القرآن لفظ اليوم معها في قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] إذ كيف ينتفي تكليمها إنسيًا نفيًا مستمرًا لا إلى غاية ثم يقيد ذلك بقوله «اليوم» في أفصح كلام وأبعده عن التناقض والاختلاف».

الوجه الثاني: أن لن لو كانت تدل كلما ذكرت على تأبيد النفي لكان ذكر لفظ «أبدًا» معها تكرارًا لأن المفروض أنه مستفاد منها، وقد ورد ذكر «أبدًا» معها في القرآن واستدل بالآية في أعلى الصفحة، والقرآن مصون عن التكرار.

الوجه الثالث: أنها لو كانت دالة على تأبيد النفي لم يصح أن يذكر معها ما يدل على انتهائه نحو قوله تعالى ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١] فبطلت دعواه ولم يسلم له استدلاله. ينظر كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك على هامش كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف محمد محيي الدين جـ٤ صـ١٤٩ نشر المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

(3) لتفنيد جميع شبه المعتزلة ينظر الأربعين في أصول الدين للرازي جـ١ صـ٢٩٨ إلى صـ٣٤٠، محصل أفكار المتقدمين للرازي صـ١٩٢، ١٩٣، وضوء الساري إلى معرفة =

الأشاعرة:

عندما تعرض القاسمي لرأي الأشاعرة قال ذهب الأشاعرة إلى أن الله -تعالى- يرى بالأبصار في الآخرة واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأخرى عقلية. فمن الأدلة النقلية التي استدلوا بها:

أ- قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ووجه الدلالة فيها من وجوه:-

الأول:

أن سؤال موسى عليه السلام لرؤية الله -تعالى- يدل على إمكانها لأن العاقل فضلاً عن النبي ﷺ لا يطلب المحال. ولا مجال للقول بجهل موسى عليه السلام بالاستحالة، لأن الجاهل بما لا يجوز على الله -تعالى- لا يصلح أن يكون نبيًا لأن الغرض من النبوة هداية الخلق إلى العقائد الحقة، ولا ريب في نبوة موسى وأنه من أولي العزم. وقد اصطفاه الله لرسالته، واجتباه لنبوته، وخصصه، بتكريمه، وشرفه بتكليمه، وجعله أفضل أهل زمانه، وأيده ببرهانه.

الثاني:

أن المولى -سبحانه وتعالى- علق الرؤية على أمر ممكن في نفسه وهو - استقرار الجبل- والمعلق على الممكن ممكن؛ لأن معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق -الرؤية- عند وقوع المعلق به -استقرار الجبل- والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة[1].

=

رؤية الباري من صـ١٠٣ إلى ١٥٤ وسيجد القارئ في هذا الكتاب إجابات شافية لجميع الشبه بأدلة من الكتاب والسنة، ردَّ الإمام الدارمي على المريسي العنيد ضمن مجموعة عقائد السلف صـ٤١٣، ٤١٧، أصول الدين للبغدادي من صـ٩٨-١٠٢.

(1) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٥١ بتصرف، وشرح الموقف الخامس صـ١٨٨، ١٨٩ والله =

الثالث:

أن الله -تعالى- تجلى للجبل بالفعل وهو جماد، فلا مانع إذن أن يتجلى لأهل محبته وأصفيائه[(١)]. وهناك وجوه أخرى كثيرة لإثبات الرؤية تتعلق بهذه الآية ذكرها صاحب شرح العقيدة الطحاوية[(٢)].

ب- قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ووجه الدلالة في الآية: أن الفعل «نظر» له عدة استعمالات بحسب تعديه بنفسه أو بحرف الجر.

أ- إن عُدِّي بنفسه كان بمعنى التوقف والانتظار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣][(٣)] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

=

والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي تأليف د/ محمد جلال شرف صـ٣٦٧، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م. هذا وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره من أدلة الأشاعرة وقالوا: بأن الرؤية في الآية بمعنى العلم، أو أن موسى سأل الرؤية بسبب قومه لا لنفسه لأنه كان عالمًا بامتناعها أو أنه سألها لنفسه وإن علم استحالتها بالعقل ليتأكد دليل العقل بدليل السمع، أو أن موسى قد لا يعلم امتناع الرؤية، ولا يغير ذلك في نبوته. وقد رد عليهم العضد والجرجاني في كل ما سبق.

* ينظر ذلك في شرح المواقف الموقف الخامس صـ١٨٩-١٩٧.

(1) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس مراجعة عبد الرزاق عفيفي صـ٧٢ ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط٤ نشر دار الاعتصام.

(2) شرح العقيدة الطحاوية جـ١، صـ٢١٢-٢١٤.

(3) النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير في القرآن الكريم ولكنه لم يقرن ألبتة بحرف إلى. فالنظر المقرون بحرف إلى المعدى إلى الوجوه ليس إلا بمعنى الرؤية.

* ينظر كتاب استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات تأليف الإمام المحدث محمد الخضر الشنقيطي صـ٣٤٦. طبع دار البشير للنشر والتوزيع عمان ط١ سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [ص: ١٥] ففي الآية الأولى بمعنى انتظرونا وتوقفوا لنا. وفي الثانية أيضًا بمعنى ينتظروا.

ب- أن عدى بـ(في) كان بمعنى التفكر والاعتبار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فالمعنى في الآية **أولم يتفكروا ويعتبروا بخلق السماوات والأرض.**

ج- إن عدى بـ(اللام) كان بمعنى الرأفة والعطف والرحمة مثل قولهم «نظر الأمير لفلان» أي عطف عليه.

د- إن عدى بـ(إلى) كان بمعنى الرؤية والمعاينة بالإبصار. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فمن هنا قال الأشاعرة بوجوب حمل النظر في الآية على الرؤية ووقوعها يوم القيامة[1] إلى غير ذلك من الأدلة السمعية التي استدل بها الأشاعرة على مذهبهم[2].

وفي أثناء استدلال البيهقي -رحمه الله- بهذه الآية على ثبوت الرؤية ذكر هذه الاستعمالات للفظ «نظر» ثم قال: والثلاثة الأول غير مراده -تعالى-.

أما الأول: فإن الآخرة ليست بدار استدلال.

وأما الثاني: فلأن في الانتظار تنغيصًا وتكديرًا. والآية خرجت مخرج الامتنان والبشارة. وأهل الجنة لا ينتظرون شيئًا لأنه مهما خطر لهم أتوا به.

---

(1) شرح المواقف -الموقف الخامس- صـ٢١١، ٢١٢.

(2) الأربعين في أصول الدين صـ٢٩٢-٢٩٥ وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره ووجهوه الآيات بما يتفق مع مذهبهم. ينظر المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ٤، صـ١٩٧-٢١٧، المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار تحقيق عمر السيد عزمي صـ٢١٢، ٢١٣، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وشرح الأصول الخمسة صـ٢٤٢-٢٤٨. وقد رد الأشاعرة على أدلة المعتزلة وفندوها ينظر في ذلك الأربعين في أصول الدين جـ١، صـ٢٨٣-٢٩٢، وشرح المواقف الموقف الخامس صـ٢١٢-٢١٧.

وأما الثالث: فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه. فلم يبق إلا نظر الرؤية. وانضم إلى ذلك أن النظر إذا كان مع الوجه، انصرف إلى نظر العينين اللتين في الوجه، ولأنه هو الذي يتعدى بإلى[١].

ومن الأدلة العقلية التي استدل بها الأشاعرة:

أنه تعالى لو لم يكن مرئيًا لما جاز أن يكون معلومًا، لكن التالي باطل، فما أدى إليه من عدم جواز رؤيته باطل، فثبت نقيضه وهو أنه تجوز رؤيته. دليل الملازمة. أنه تعالى موجود وذات، ويخالف سائر الموجودات في استحالة كونه حادثًا، أو موصوفًا بما يدل على الحدوث، أو موصوفًا بصفة تناقض صفات الألوهية[٢] وكل موجود يصح أن يرى، فالله ﷻ تصح رؤيته.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره الغزالي[٣].

والعضد[٤] -رحمهما الله- وقد اكتفينا بذلك خشية الإطالة[٥].

---

(1) استحالة المعية بالذات صـ٣٤٦ بتصرف يسير.

(2) نظرات في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد تأليف د/ إبراهيم عبد الشافي صـ٢١٢، ٢١٣، ط سنة ١٩٩٢، وتحفة المريد صـ١٣٣.

(3) الغزالي: سبق ترجمته صـ٩٣.

(4) العضد: هو الإمام القدوة قاضي القضاة عضد الدين عبد الرحمن أحمد الإيجي. ولد سنة ٧٠٨هـ قاضي قضاة المشرق وشيخ العلماء والشافعية بتلك البلاد. قال الإسنوي: كان إمامًا في علوم متعددة محققًا مدققًا ذا تصانيف مشهورة منها: شرح مختصر الحاجب، المواقف، والجواهر... وغيرها كثير. توفي سنة ٧٥٦ مسجونًا * ينظر شذرات الذهب جـ٦ صـ١٧٤، الأنساب جـ١ صـ٣٩٧.

(5) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي صـ٦١-٦٥، شرح المواقف الموقف الخامس صـ١٩٧-٢٠٠.

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض موضوع الرؤية ما يلي:

أ- ثبوت الرؤية للمؤمنين في الآخرة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث وهذا هو قول الأشاعرة وبه أخذ القاسمي رحمه الله وقال: بأنه ليس في القرآن إشارة إلى امتناع رؤية الله تعالى[١].

ب- أن الرؤية الممنوعة في قوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وفي حديث عائشة[٢] هي الرؤية الدنيوية، والله -سبحانه وتعالى- قال لموسى ذلك لأن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر[٣].

ج- الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ثبوت الرؤية وعدمها لا يوجب الحكم على أي فريق منهم بالسب أو الشتم أو الكفر. ذلك أنني عند قراءتي لتفسير الزمخشري وجدته قد هجا الأشاعرة ومن سلك مسلكهم في إثبات الرؤية بألفاظ جانبه الصواب فيها وهي قوله:

لجماعة سموا هواهُمْ سنةً ... وجماعةٌ حمر لعمري موكـــفة[٤]

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبكلفة[٥]

---

(1) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٨٥١ بتصرف.

(2) أخرجه البخاري في فتح الباري كتاب التفسير ٥٣ سورة النجم صـ٤٧٢. وقد قال ابن كثير في أثناء حديثه عن هذا الحديث لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني جـ صـ٦٠٤ نشر دار الصابوني.

(3) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٥١ بتصرف يسير.

(4) موكفة من الإكاف: وهو البرذغة. والبكلفة قولك بلا كيف.

(5) ينظر في ذلك تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات شرح شواهد الكشاف تأليف الأستاذ محب الدين أفندي في آخر كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للزمخشري ومعه كتاب الأنصاف جـ٤ صـ٤٥٦ ط دار المعارف بيروت.

وفي موطن آخر يصرح بخروجهم عن الإسلام بسبب قولهم بجواز رؤية الله -تعالى-[١] وفي المقابل لذلك وجدت أيضًا صاحب الإنصاف ذكر أبيات ظاهرها أن المعتزلة في النار وهي:

وجماعة كفروا برؤية ربهم حقًا ووعد الله ما لن يخلفه
وتليفبوا عدلية. قلنا: أجل عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
وتلقبوا الناجين. كلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه[٢]

أقول: مثل هذه الأشياء كنت أود أن لا تحدث بين أهل العلم، لأن الحكم بدخول النار وغيره مقطوع لله -سبحانه وتعالى- وفي ذلك يقول القاضي عياض: نقلاً عن القاضي أبي بكلا الباقلاني: «وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية. فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح، إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئًا منها»[٣] ورحم الله الشوكاني إذ يقول في وصف أصحاب رسول الله ﷺ:

وما قالوا بتكفير لقوم لهم بدع على الإسلام سود[٤]

---

(1) المرجع السابق جـ١ صـ٤١٨.

(2) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير جـ٢ صـ١١٦ إلى غير ذلك من الأبيات التي فيها هجاء للمعتزلة فقد ذكرها القاسمي في تفسيره جـ٧ صـ٢٨٥٣.

(3) الشفا للقاضي عياض جـ٢ صـ١٠٨٦، ١٠٨٧.

(4) مقدمة قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني أو ولاية الله والطريق إليها تحقيق وتقديم د/ إبراهيم إبراهيم هلال، صـ٣٩ مطبعة حسان القاهرة نشر دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٩م.

الخاتمة

وبعد هذه المعايشة العلمية مع شخصية الإمام القاسمي علامة الشام نخلص إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

أ- بالنسبة لعصر القاسمي:

١- الحالة السياسية في الدولة العثمانية -خلال عصر القاسمي- كانت سيئة لدرجة كبيرة، إذ تكالبت عليها المكائد من كل اتجاه سواء من العالم الغربي أو من ولاتهم أنفسهم مما دفع القاسمي لأخذ موقف من هؤلاء الولاة.

٢- الحالة الاجتماعية كانت شبيهة بالحالة السياسية بل زادت عليها بسبب كثرة المصائب السماوية، وحدوث الطواعين المتكررة وانتشارها بالعدوى، وكل ذلك أثر في دمشق وأدى إلى فناء خلق كثير.

٣- الحالة الاقتصادية ساءت أيضًا إلى أبعد الحدود بسبب نظام الالتزام الذي جعل الناس طبقتين، طبقة تعيش في بذخ وإسراف، وطبقة تكاد لا تجد إلا الكفاف.

٤- الحالة العلمية كانت مفقودة بسبب عدم وجود المدارس والمعاهد والجامعات مما أدى إلى انتشار الأمية، وجعل اللغة التركية هي لغة الدولة الرسمية.

ب- أما سيرته الذاتية فقد تبين فيها الآتي:

١- ينتمي القاسمي إلى بيت عرف بالورع والتقوى والعلم فقد كان جده ووالده من علماء عصرهم.

٢- اتصاف القاسمي بالصفات الحسنة الحميدة مما جعل علماء عصره يثنون عليه وعلى علمه وأمانته.

٣- ظهر لي أن القاسمي كان شافعي المذهب ملتزمًا بآراء مذهبه ومنتصرًا له.

٤- كان القاسمي حسن الأدب، فلم يتناول أحدًا من خصومه بالتجريح،

بل كان همه معهم الإلزام بالحجة، وكان يلتمس لصاحب المذهب المخالف العذر.

أما الباب الأول الخاص بالحديث عن الإلهيات عند القاسمي فقد تبين فيه الآتي:

١- طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله بها كثير من الغموض، بخلاف طريقة القاسمي التي استقاها من كلام المتقدمين عليه وساقها في صورة معاصرة ملائمة لأهل عصره.

٢- كثرة نقل القاسمي عن غيره لا يعد عيبًا فيه، إذ كان يجمع نوادره من مواضيع شتى، ويصيغها بأسلوب ميسر مع عزو كل قول لصاحبه.

٣- اعتمد القاسمي في عرضه للأدلة على وجود الله تعالى على أدلة وبراهين كثيرة، سار فيها مخاطبًا جميع الناس على اختلاف أحوالهم، فذكر أدلة عقلية، وأدلة حسية، وهو في ذلك متبع لأسلوب القرآن الكريم.

٤- عرضت لآراء الفرق في مسألة الصفات، ورددت عليها - بكلام العلماء.

٥- كان القاسمي في مسألة الصفات -عمومًا- منتصرًا لمذهب السلف، وكان يرى أنه أعدل المذاهب، وساق أدلة كثيرة على ذلك.

٦- كان القاسمي يعتمد في سوقه لأدلته على ما صح من حديث رسول الله ﷺ تاركًا الضعيف منها.

٧- كان القاسمي يلتمس لصاحب المذاهب المخالفة العذر فيما ذهبوا إليه.

أما بالنسبة لما يتعلق بفصل النبوات فقد تبين لي ما يلي:

١- مخالفة القاسمي للفلاسفة والمعتزلة الذين رأوا أن إرسال الرسل ملزم على الله، وقال: بأن إرسال الرسل فضل ومنة من الله على عباده.

٢- شدة حرص القاسمي على إثبات العصمة للأنبياء، ونفي كل الشبهات

التي عنت لبعض المخالفين، ولذلك رأينا ردوده عليهم اتسمت بالشدة في الحق، وفند مزاعمهم وأباطيلهم.

٣- القاسمي -رحمه الله- لم يأخذ كلام غيره من العلماء مأخذ المسلمات، بل كان يضع كل رأي يقع تحت عينه أمام عقله، ويقف منه موقف المؤيد إذا وافق الكتاب والسنة، أو موقف المعارض له أشد المعارضة إذا لم يوافق الكتاب والسنة.

٤- كثرة اطلاعات القاسمي على كتب الأناجيل مما جعل أدلته التي استخدمها في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ قوية ومقبولة.

٥- ركز القاسمي في إثبات النبوة على نبوة سيدنا محمد ﷺ إذ رأى أن في إثباتها إثبات ملزم لنبوة جميع الأنبياء.

أما بالنسبة لما يتعلق بفصل السمعيات فقد تبين لي ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث في أدلتهم على إثبات السمعيات.

٢- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعله، من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

٣- كان القاسمي يرى أن: الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله، ويرى بأنه هو الظاهر من النصوص، والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينهما.

٤- أثبت القاسمي رؤية الله تعالى في الآخرة مستندًا في ذلك إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وهو بذلك موافق لرأي السادة الأشاعرة.

٥- كان القاسمي شديد التحري في نقل آراء كلا من المعتزلة والأشاعرة، ولم يتعرض لمخالفيهم بالسب والتجريح.